صَحِيحُ الْخِصَالِ الْمُوجِبَةِ لِلظِّلاَلِ

إعداد
أَبِي عِمَادْ الْأَثَرِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العرش العظيم، الذي لاظِلّ إلا ظِلُّه، والصلاة والسلام الأَكْمَلان الأَتَمَّان على من لانبيَّ بعده محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا إخوة الإيمان جزءٌ لطيفٌ في معرفة وبيان الخِصال الموجِبَةِ لِظِلِّ عَرْشِ الرحمن يوم القيامة يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، وهي خصال كثيرة جاءت بها الأحاديث والآثار النبوية، لكن منها ما صح سندها ومنها لم يصح، وسنقتصر بطبيعة الحال في جزءِنا

هذا على ماصحَّ منها مُبَيِّنِينَ معانيها تسهيلا وتيسيرا للقارئ، وتشجيعا له على المسارعة للْعَمل بها رجاءَ تحصيلِ ثوابِها العظيم، يوم لا ينفع مال ولابنُون إلا من أتَى اللَّهَ بقلبٍ سليم.

وقد عمل قبلُ في جمعها بعضُ أهل العلم فمنهم من نظَمهَا كالإمام أبي شامة المقدسي، حيث ذكر السبعة الواردة في الحديث المشهور وسيأتي مَعنا، ونظمها أيضا الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني حمه الله، وزاد على ما ذكره أبوشامة فأوردَ الجميع في جزء سماه «معرفة الخِصال الموصِلة إلى الظِّلال».[1]

[1] أنظر «فتح الباري» (144/2) .

ثم جاء بعده السُّيُوطي وزاد عمَّا ذكره مَنْ قبله في كتابه «تمهيد الفُرش في الخصال المُوجِبَةِ لظِلِّ العرش»، وبيَّن فيه قواعد ذلك وأساسه، وذكر ما لكل حديث من الشواهد،إلا أنه ذكر فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.

ثم لخَّصَ ما ذكره في كتابه هذا في جزء صغير سمَّاهُ «بزُوغ الهلال في الخِصَال المُوجِبةِ للظِّلال» وهو مطبوع في آخر كتاب «تمهيد الفرش» (ص151).

وسأَقْتصِرْ في بحثِنا هذا على ما صح منها فقط مع الكلام على معانيها بأوجز عِبَارة، وأيْسَرِ بيان تشجيعا على قِراءَتِها، ودَعوةً إلى العمَل بها طَلَبًا

للأجر والفوز بثوابها يوم لاظِلَّ إلا ظلُّه، راجِين منه سبحانه أن يلهِمنا السَّداد والتوفيق والرشاد، وأن يجعل عملَنَا هذا لِوجهِهِ خالصًا، ولا يجعل فيه لأحدٍ شيئا، والحمد لله أولاً وآخرًا.

كتبه راجي عفوَ ربِّه

أبو عماد الأثري

*الحديث الأول : وفيه سبعةُ خِصَال

-عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«سَبْعةٌ يُظِلُّهُم الله يوم القيامة في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه : إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأَ في عِبَادَةِ الله ورجل قلبُهُ معلَّقٌ بالمساجد إذا خرَج منه حتى يعود، ورجلان تَحَابًّا في الله، اجتمعا عليه وافْترَقا عليه، ورجلٌ دعتْهُ امرأةٌ ذات منصِب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله،ورجلٌ تصَدَّقَ بصدقةٍ

فأَخْفَاها حتى لاتعلمَ شِمَالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورجلٌ ذكَر الله خَاليًا فَفَاضَتْ عَينَاهُ»[2].

اشتمَلَ هذا الحديث أخي القارئ كما ترى على سَبْعةِ خِصَال أوخِلاَل تُظِلُّ صاحبَها يوم القيامة لما تقتَرِب الشمس من رؤوس الخَلق يومَ لاظِلَّ إلا ظِلُّه،وقد اختُلِفَ في المُراد من الظِّلِّ في الحديث فقيل : المُراد الكَرامة والكَنَف والحِماية والوِقايةمن المَكَارِه،وقيل : ظلُّ عرش الرحمن كما صح في رواية، ويكون إظافتهُ له لأنه مقام التقرب والكرامة.

ودونَك أخي الكريم شرح كل خِصلةٍ على حِدَة، فنقول وبالله نصُولُ ونجُول:

---

[2] رواه البخاري (660) ومسلم (1031) وغيرهما.

*الخِصلةُ الأولى: إمامٌ عادِل، وهو كلُّ مَن إليه نظرٌ في شيء من أُمور المسلمين من الوُلاةِ والحُكام، فعَدَلَ فيه وبدأ به لكثرة مصالحه وعُمُومِ نفعِه، قاله القاضي عياض وغيره[3]، ويؤيده ما رواه مسلم (1827) من حديث ابن عمرو مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن المُقسِطين عند الله على منابِرَ من نور عن يمين الرحمن عزوجل -وكِلْتَا يديهِ يمين- الذين يعْدِلون في حُكمهِم وأهلِيهِم وَمَا وَلُوا».

[3] أنظر «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم»(562/3)، و«المُفهِم» (44/9) للقرطبي.

وأحسن ما فُسِّرَ به العادِل أنه الذي يتَّبع أمر الله بوضعِ كل شيء في موضِعِه، من غير إفراط ولاتفريط.[4]

والعدْلُ في الحُكمِ يدخُل فيه الحُكمِ بين الخصوم كالقاضي، ويدخل فيه أيضا سياسة الناس وتدبير شؤونِهِم كما هو الحال في أصحاب الوِلايات.

ويمكن دُخول المرأة في الإمام العادل، حيث تكون ربَّةَ عِيَال، فتعدِلُ فيهم كذلك.

ومما ورَد أيضا في فضل الإمام العادل وثوابِه ما صح في الحديث : «وأهل الجنة ثلاثة :

---

[4] «فتح الباري» (184/2) .

ذُو سُلطان مُقْسِطْ متصدِّق موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكلِّ ذي قُرْبَى ومسلم،وعفيف مُتعفِّف ذو عِيَال».

قوله :«مُقْسِط» بمعنى عَادِلْ، والإقساط والقِسط العدل، يقال : قسَطَ إِقْسَاطًا فهو مُقسِط إذا عَدَلَ ومنه قوله تعالى : {وأَقْسِطُوا إن الله يحب المُقسطين} [الحجرات :9].

وقد صنَّفَ في فضيلة العَادِلين من الوُلاةِ كثير من أهلِ العلم منهم الإمام الحافظ أبونعيم الأصبهاني وهو مطبوع متداول وبذيله كتاب «تخريج أحاديث العادِلين» للحافظ السخاوي.

*الخِصْلةُ الثانية : شاب نشأً في عِبَادَةِ الله حيث ابتَدأً شبابه وقوَّته فيما أحبَّ الله، ويرضاهُ من العمل، لغلبة التقوى عليه.

وخَصَّ الشاب هنا بالذكر، لكونه مَظنَّة الشهوة لما فيه من قوة الْبَاعِث على متابعة الهوى ؛ فإن ملازمة العبادة مع هذا الحال من الشباب يكون أشَد، ويدل على غلبة التقوى على هذا الشاب.

وصحَّ في الحديث: «إن ربَّك ليعجَبُ من الشاب ليست له صَبْوَةٌ »[5]، والصَّبْوة هنا بمعنى الميل إلى الهوى، فلِغَلبَةِ التقوى ارتفعت هذه الصَّبْوَة.[6]

---

[5]رواه أحمد (151/4) وغيره بسند جيد كما في«الصحيحة»(2543)

[6] «شرح الترغيب» (137/3) و«النهاية»184/3 و«المُفْهِم» (44/9).

و مما ورد أيضا في فضل العبادة والتقوى في زمن الشباب، لاسيما بالنسبة لهذا الزمان الذي نعيش فيه اليوم، حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ :

«يافِتيان قريش لا تَزْنُوا، فإنه من سلِمَ له شبابه دخَل الجنة»، وفي لفظ:«احفظوا فرُوجَكم»[7].

* الخِصلةُ الثالثة : «ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّق بِالْمَسَاجِد إذا خرج منه حتى يَعُود» ظاهره أنه يُحب المكوث فيها للصلاة والمحافظة عليها والذكر وقراءة القرآن وعبَّرَ عنه بالتَّعلُّق، كأنه شبَّههُ بالشيء المعلَّق في المسجد كالقنديل مثلا، وفي هذا إشارة إلى طول

[7] صححه الحاكم والمنذري وابن حجر أنظر الصحيحة (2696).

ملازمة قلبه للمسجد وشدة حبِّهِ له، وإن كان جَسدهُ خارجا عنه.

قال النووي : معناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود فيها[8].

وفي فضل المحافظة على الصلوات في المسجد يقول جلَّ وعلا : {في بيوتٍ أَذِن الله أنْ تُرفع ويُذْكَر فِيه اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَه فيها بالغُدوِّ والآصَال رجالٌ لاَ تُلهِيهِم تِجَارة ولا بَيْع عن ذِكْر الله وإِقَام الصَّلاة وإيتَاءِ الزَّكاة يخَافُون يومًا تَتقَلَّب فيه القلوبُ و الأَبْصَار ليَجزِيَهُمُ الله أَحسَنَ ما عملُوا

[8] أنظر «فتح الباري» (184/2) و«شرح مسلم» (121/7).

ويزِيدَهم من فَضْله والله يرزُق من يشَاء بغَير حِسَاب} [النور: 36-37] .

وفي الباب أحاديث أخرى جليلةٌ من ذلك:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة، كتَبَ له كاتِبُه بكل خطوة يخطُوها إلى المسجد عشر حسنات... ويُكتَب من المصلين حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه». وفي رواية : « فخُطْوَةٌ تَمْحِي سيِّئة وخُطوة تَكتُبُ لَه حسنة ذاهِبًا وراجِعًا».[9]

وفي حديث اختصامِ المَلَأِ الأعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي ربي : يا محمد

[9] «صحيح الترغيب» (298) و(299) .

أَتَدْري فيما يختصِمُ الملأ الأَعْلَى؟ قلت: نعم، في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعة وإِسْباغ الوضوء في السَّبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبِه كيوم ولدته أمه».[10]

وقوله صلى الله عليه وسلم : «من خرَج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة، فاجره كأجرِ الحاج المُحْرِمِ»[11].

وقوله صلى الله عليه وسلم : «لايتوضأ أحدكم فيُحْسِن وُضوءَهُ فيُسْبِغُهُ، ثم يأْتِ المسجد لايُريد

[10] «صحيح الترغيب» (302) .
[11] «صحيح الترغيب» (320) .

إلا الصلاة، إلا تبَشْبَشَ الله إليه، كما تَبشبش أهلُ الغائب بطَلْعَتِهِ»[12] .

يقال : تَبَشْبش الصديق بصديقه، إذا فرِحَ بِه وقرَّبه وأَكْرمَهُ.

وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن الله ليُنادي يوم القيامة : أين جيراني، أين جيراني؟ قال : فتقول الملائكة : ربَّنا ومن ينبغي أن يُجاوِرك ؟ فيقول : أين عُمَّار المَساجِد».[13]

*الخِصلةُ الرابعة :«ورجُلاَنِ تحَابَّا في الله اجْتَمَعا عليه وافْترَقا عليه»، أي أحَبَّ كل واحِدٍ منهما

[12] صححه ابن خزيمة (1489) وهو في «صحيح الترغيب» (303) .

[13] إسناده جيد كما هو مبين في «الصحيحة» (2728) .

الآخر حقيقة لا إظهارًا فقط؛ لأن العبرة في مثل هذه الأمور بالحقيقة وليس بالإدِّعاء والتظاهُر فقط.

فكان مِن أثَرِ ذلك وثمَرتِه أنَّهما دَامَا على المحبة الدينية ، ولم يَقْطَعَاهَا بعَارِضٍ دُنيَوِي حتى فَرَّق بينهما الموت.

والحب في الله من المهمات؛ لأن الحب في الله والبُغض في الله من الإيمان، كما صح بذلك الحديث : «إن أَوْثقَ عُرَى الإيمان المُوالاة في الله والمُعادات في الله، والحبُّ في الله والبُغض في الله» وفي حديث آخر :«من أحَبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنعَ لله فقد استكمل الإيمان».[14]

[14] أنظر تخريج الحديثان في «الصحيحة» برقم (1728)و(380).

ومما ورد أيضاً في فضل منزِلة المُتحَابِّين في الله وصفاتهِم قوله صلى الله عليه وسلم : «يقول الله تعالى يوم القيامة : أين المُتحَابّون لِجَلاَلِي اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي، يوم لاظِلَّ إلاظِلِّي».[15] وفي حديث آخر: «المُتَحابُّون في الله على منابِر من نور في ظِلِّ العرش يوم لاظِلَّ إلا ظِلُّه»[16].

وقوله صلى الله عليه وسلم : إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولاشُهداء، يغبِطُهمُ[17] الشهداء والأنبياء يوم القيامة؛ لِقُربِهِم من الله تعالى ومجلِسِهم منه».

---

[15] رواه مسلم في «صحيحه» (2566) .

[16] وهو في «صحيح الترغيب» (3019) .

[17] ماخوذ من الغبطة وهي أن تتمنى الحصول على نعمة عند غيرك مع بقائها عنده.«النهاية» لابن الأثير.

فجَثَا أعرابِيٌّ فقال : يارسول الله صِفهم لنا وجلِّهِم لنا.قال :

« قوم من أفْنَاءِ الناس من نُزَّاعِ القبائل ، تَصَادَقُوا في الله وتحابُّوا فيه، يضع الله عزوجل لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولايخافون هم أولياءُ الله عزوجل الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون».[18]

*الخصلة الخامسة : «ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصِبٍ وجَمال إلى نفسها فقال:إني أخافُ الله».

[18] صححه الحاكم (171/4) ووافقه الذهبي والعلامة الألباني في «الصحيحة» (3464).

قوله : «دَعَتْهُ» أي إلى أن يَزْنِي بِها وبه جزَمَ القرطبي في «المُفهِم» ورجَّحهُ غيرُ واحد، وقوله: «ذات منصِب»هو بمعنى الشرف والأصل والمال وقد وصَفَ هذه المرأة هنا بأكملِ الأوصاف «ذاتُ منصِب وجمال» لِكَثْرَتِ الرغبة فيها وعُسْرِ حُصولِها؛ ولِقلَّةِ من يجتمِع ذلك فيها من النساء مع ما فُطِرَ عليه الرجل، من الميل إلى النساء وحُبِّهن، لاسِيَّمَا وهي هنا دَاعِيَةٌ إلى نفسِها طالِبَةٌ لذلك، قد أغْنَت بذلك عن مَشَاقِّ التَّوَصُّلِ إليها بِالمُرَاوَدة.

وقول هذا الرجل المَدْعُو في هذه الحال : « إني

أخاف الله» وامتِناعهُ عن إجابتِها للفاحشة فيه زَجْرٌ لها ودليلٌ على عظيم معرِفتِه بالله تعالى وشِدَّة خوفِهِ من عِقابه، وحَيَائِه منه سبحانه وقصَّة يوسف عليه السلام خير مثال على ذلك.

فلما كان صبرُهُ عنها لخوفه من الله تعالى مع جمعها للمنصِب والجمال،كان فِعلُهُ هذا من أكْملِ المراتِب وأعظمِ الطاعات الذي رتَّبَ الله عليها أن يُظِلَّه في ظلِّه يوم لاظِلَّ إلا ظِلُّه.[19]

*الخصلة السادسة : «ورجل تصَدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شِمالُه ما تُنفِقُ يمِينُه»

[19] أنظر«إكمال المُعلِم» (563/3)و«المُفْهِم» (45/9)و«الفتح»185/2

قال أهل العلم : في هذا الحديث فضل صدقة السِّر، لاسِيَّمَا في صدقة التطوع فالسِّرُّ فيها أفضل؛ لأنه أقرب إلى إلاخلاص، وأبعد من الرياء.

أما الزكاة فإعلانُها أفضل، وهكذا الصلاة فإعلان فرائضِها أفضل، وإسْرارُ نوافلِها أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم : «أفضل الصلاة صلاةُ المرء في بيته إلا المكتوبة» (متفق عليه).

وذِكرُ اليمين و الشمال مبالغةً في الإخفاء والإستتَار بالصدقة وضربُ المثَلُ بهما لقُرب اليمين من الشمال وملازَمَتِهَا لها، فالمعنى: لو قُدِّرَتْ الشمالُ رجلاً مُتيقِّظًا لَمَا علِمَ صدَقَةَ الْيَدِ

اليمين لِمُبالغةِ الإخفاء.[20]

*فائدة: قال في«المُفْهِم» :وقد سمِعْنَا من بعضِ المشايخ بأن معنى لاتعلم شمالُهُ ما تُنفِقُ يمينه المبالغة في إخفاء الصدقة، وهو أن يتصدق على الضعيف في صورة المشتري منه، فيدفعُ له درهم -مثلا- في شيء يُسَاوي نصف درهم، بالصورة مُبَايَعة والحقيقة صدقة وهو اعتبارٌ حسن.

وهذه الصورة التي ذكرها القرطبي هي من صُوَرِ الصَّدقة المخفية كما يقول الحافظ ابن حجر.

وفضلُ صدَقَةِ السِّر ورد فيه أحاديث أخرى منها:

---

[20] «شرح الترغيب» (411/5) للفيومي .

قوله صلى الله عليه وسلم : «صنائع المعروف تَقِيْ مصَارِع السوء، والصدقة خفيًّا تُطفِئُ غضَبَ الرَّب»[21].

*الخصلة السابعة : «ورجلٌ ذكر الله خَاليًا فَفَاضَتْ عينَاهُ».

قوله : «خاليا» أي من الخُلوة؛ لأنه يكون حينئذٍ أبعد من الرِّياء، وكذلك خاليا من الإلتفات إلى غير الله، وفَيضُ العين: بكاؤُها وهو على حسب حالِ الذَّاكِر وما ينكشف له من أوصاف الحق سبحانه،ففي حال أوصاف الجلال والجمال، يكون

---

[21] «صحيح الترغيب» (890) .

البكاء من محبته والشوق إليه، وفي حال أوصاف العظمة والجبروت والعزة، يكون البكاء من خشيتِه وهكذا بحسب ما يَذكُر من الأسماء والصفات.

قال النووي : «وفي الحديث فضل طاعة السر لِكمالِ الإخلاصِ فيها».[22]

ومما ورد أيضاً في فضل البكاء من خشية الله قوله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة لاترى أعيُنُهُم النار يوم القيامة: عينٌ بكَتْ من خَشْيَةِ الله، وعينٌ حرَسَتْ في سبيل الله، وعَينٌ غضَّتْ عن محارِمِ الله»[23].

---

[22] أنظر «فتح الباري» (187/5) و«شرح الترغيب» (411/5) للفيومي

[23] حديث صحيح كما هو مبين في «الصحيحة» (2673) .

⁎فائدة :الحديث يدخل فيه النساء أيضاً إلا إن كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى وإلا فيمكن دخول المرأة، حيث تكون ذات عيال فتَعدِل فيهم، وتخرُجُ خَصْلةُ ملازمة المسجد لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد وما عَدَا ذلك فالمشاركة حاصلةٌ لهُن، حتى الرجل الذي دعَتْهُ المرأة، فإنه يُتَصوَّرْ في امرَأةٍ دَعَاهَا ملك جميل،فامتَنَعَتْ خوفًا من الله تعالى مع حاجَتِهَا[24]

***الحديث الثاني : وفيه ثلاث خصال.**

-عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«أَتَدْرُونَ مَنِ

[24] ذكر هذه الفائدة ونبَّهَ عليها الحافظ في «الفتح» (187/2) .

السَّابِقُون إلى ظِلِّ الله يوم القيامة؟» قالوا : الله ورسوله أعلم.قال :«الذين إذا أُعْطُوا الحَقَّ قبِلوهُ، وإذا سُئِلُوهُ بذَلُوهُ، وحَكمُوا للناس كحُكْمِهِم لأنفُسِهم».[25] قوله : «السَّابقُون» أي المُسَارِعُون .

قوله:«ظل الله يوم القيامة» تقدم بيانُ معناه.

*الخصلة الثامنة : «الذين إذا أُعْطُوا الحَقَّ قبِلُوه» أي إذا أُعْطِي لهم حقُّهُم أو قيل لهُم كلمة الحق قَبِلُوه وأَخَذُوه وانْقَادُوا إلَيه وأذْعَنُوا له.

قال الأصبهاني : والحق يُقال على أوجُه لمُوجِدْ

---

[25] رواه أحمد في «المسند» (67/6و69) و و«كتاب الزهد» وأبو نعيم في «الحلية» (16/1) (2 /186-187) والديلمي في «مسنده» (3576) وسنده جيد .

الشيء بحسب ما تقتضِيه الحِكمَة، ولهذا قيل في الله تعالى:(هو الحق) لِما يُوجِد بحسبِ مُقْتَضَى الحِكمَة، ويُقال أيضاً للفعل والقول الواقِع بحسَب ما يجِب، وعلى القدْرِ الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقرلك:فعلك حق وقولك حق، كما قال تعالى: {وكذلك حقَّت كلمةُ ربِّك} [يونس: 33] ويُقال أيضًا : أَحْقَقْتُ كذا أي أثبتُّهُ حقًّا.

الخِصلة التاسعة : «وإذاسُئِلُوهُ بذَلوه» أي إذا سُئِلُوا عن كلمة الحق أجَابُوه ولم يَكتُمُوه ولم يخَافُوا فيه لومةَ لائِم، أو إذا طلبَهُم أحدٌ حقَّه بَذلوهُ بالإعطاء على وجهِ الإيفَاء، أو نصحَهُم ناصِح وأظهَرَ كلمةَ الحقِّ، قَبلوها وفعَلُوا مُقتَضَاها

من البذل والعطاء؛ لأن الحق أحبُّ إليهم من نفوسهم.

فلما سارَع هؤلاء إلى إعطاء الحق الذي سُئِلُوهُ كان جزاؤُهم من جِنسِ عملهم حيث يكونون من المُسارعين إلى ظل الله يوم القيامة عند اقتراب الشمس من الناس قدْرَ مِيل، وهم موقوفون في مقامِ ضيقٍ وحرج شديد، فيغرقُون كلٌّ بحسَب عمله.

*الخصلة العاشرة :«وحَكَمُوا للنَّاس كحُكْمِهِم لأنفُسِهِم» أي حَكَمُوا بالحق للناس كيفما كانت منزِلتهم، كما يَحكمُون لذوَاتِ أنفُسِهم وقرَابَتِهِم كما قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقِسْطِ شُهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدين

والأقربين إن يكن غنيًّا أو فقيرا فالله أَوْلَى بهما فلا تَتَّبعوا الهَوى أن تعدِلُوا وإن تلْوُوا أو تُعرِضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا} [النساء : 135].

*تنبيه :قد يُنزَّل هذا الحديث على أكثر هذه المعاني: أحدُها : على الفعل الحق والقول الحق. وثانيها : على الواجِب للإنسان من العَطِيَّات كأن يثبت عليه حقٌّ في ماله، فيبذُلهُ لمن يستحقُّه فينال درجة الأسْخِياء والأصفياء، الذين ينفقون أموالهم سِرًّا وعلانية، يرجُون تِجارةً لن تَبُور وثالثُها : على ما يُوجد بِحسَبِ مُقتَضَى الحِكْمة لأن كلمة الحق ضالَّةُ الحكيم، فحيث وَجدها فهو أحقُّ بها؛ لأنه يعلَمها ويعملُ بها ويُعلِّمُها غيرَهُ.

فتعلُّمُها هو القبول وتعليمُها غيرَهُ هو البَذلُ والعملُ بها هو الحكمُ، فلَعَمْرِي هذا الحديث من الكلِمَات التي هي ضالَّةُ كلِّ حكيم.[26]

***الحديث الثالث : وفيه خصلتان.**

-عن أبي الْيَسَرْ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«من أَنْظَرَ مُعسِرًا أو وَضَعَ عنه أظَلَّهُ الله في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه»[27] .

---

[26] كذا في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (7/261-262) للعلامة علي بن سلطان القاري باختصار وتصرف.

[27] رواه مسلم في «صحيحه» (3006) وأحمد (3/427) وغيرهما وفي حديث أبي هريرة:«أظلَّه الله يوم القيامة تحت ظِلِّ عَرْشِه» صححه الترمذي وهو في «صحيح الترغيب» (909).

* **الخصلة الحادية عشر : «مَنْ أَنْظَر مُعسِرًا»**

وقوله : (أَنْظَرَ) بمعنى أَمْهَلَ كما قال تعالى: {وإِنْ كَان ذُو عُسْرةٍ فنظِرَةٌ إلى مَيْسَرةٍ} [سورة البقرة :280] فَإِنْظَارُهُ هو تأخِيرُ مُطالَبَتِه بالدَّيْنِ حتى يجِد ويتيَسَّر له من المال ما يَقْضِي به دَيْنه.

وقوله : (مُعسِرًا) مأخوذٌ من الإِعْسَار والْعُسْرة وهو بمعنى : ضيق الحال من جهة عدمِ المالِ أو قِلَّتِهِ بحيث لو أخذَ ما عندهُ هَتَكَه، فإذا أَنْظَرَ مَنْ هذِه حَالُه، فقد آثَرَهُ على نفْسِه وأَرَاحَ الْمَدِين من ثِقلِ دَيْنِه، فأَراحَهُ الله من حَرِّ يوم القيامة فكان الجَزَاءُ من جِنْسِ العمل.[28]

[28] أنظر «شرح الترغيب» (456/5) و«جُمَلُ الغرائب» (528).

*الخصلة الثانية عشر:«وَضْعُ الدَّيْن عن المُعْسِر» وهي بمعنى إسقاطُ الدَّين عن المَدِين المُعسِر، إما كُلّ الدَّيْنِ، وإما بعضَه من كثير أو قليل، وقد حَثَّ الله سبحانه في كتابه على هذا الإسقاط والعفو عن المدين فقال جلَّ وعلَا:{وَأَنْ تصَّدَّقُوا خيرٌ لَكُم إن كُنْتُم تَعْلَمُون} [البقرة :280]فجعل سبحانه هذا العفو والإسقاط صدقةً خيرًا من الإنظار وأعْلَى وأَغْلَى منه إِعْطَاؤُهُ ما يزولُ به إعْسَارُه.[29]

ومما ورد أيضاً في إِنظَارِ المُعسِر والوضعِ عنه أحاديث أخرى صحيحة منها :

---

[29] أنظر المصدر السابق.

-قوله صلى الله عليه وسلم : «من سرَّهُ أن يُنجِّيه الله من كُرَبِ يوم القيامة فليُنفِّس عن مُعسِرْ أو يضعُ عنه» رواه مسلم (1563).

-وقوله:«من أَنْظَرَ مُعْسِرًا فلَهُ بكل يومٍ مثلَهُ صدقة قبل أن يحِلَّ الدَّيْن[30]فإذا حَلَّ الدَّينُ فأَنْظَرَهُ فله كلَّ يومٍ مِثلَيْهِ صَدَقَة».

رواه أحمد (360/5) وغيره وصححه الحاكم (29/2) والذهبي والألباني في «الصحيحة» (86) والعلاّمة مُقبِل الوادِعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (120/1) وهو على شرط مسلم.

---

[30] أي الوقت المُحدَّد لأداءِ الدَّيْن.

-وقوله أيضا :«كان رجل يُدَايِنُ الناس، وكان يقول لفَتَاهُ : إذا أتَيْتَ مُعسِرًا فتَجَاوَزْ عنه لعلَّ الله يتَجَاوزُ عنَّا، فلَقِيَ الله فتجَاوَزَ عنه» متفق عليه.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة كما تراها في «صحيح الترغيب» للعلامة الألباني -رحمه الله- جعلنا الله وإياكم ممن تَجَاوَزَ عنه بفضلٍ منه وكرم

***الحديث الرابع** : وفيه خصلة واحدة .

-عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«يجتمعُون يوم القيامة، فيُقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكِينُها.قال : فيقومون، فيقال لهم : ماذا عمِلتُم ؟ فيقولون : ربنا ابْتَلَيْتَنَا فصَبَرنا ووَلَّيْتَ الأموال والسُّلطان غيرَنا، فيقول الله : صدقتُم.قال :

فيدخُلون الجنة قبل الناس، وتَبْقى شِدَّةُ الحِساب على ذَوِي الأموال والسلطان». قالوا : فأين المؤمنون يومئذٍ ؟ قال : «يُوضَعُ لهم كرَاسِي من نور، وتُظلَّلُ عليهم الغَمَام، يكون ذلك اليوم أَقْصَرْ على المؤمنين من سَاعةٍ من نهار».[31]

*الخصلة الثالثة عشر : التَّقْوى.

قال الإمام السيوطي رحمه الله : «وظاهِر هذه الآثار أنَّ المؤمِنين كلُّهم في الظِّل، وينبغي تخصيصُهُ بالمتَّقين».[32]

[31] صححه ابن حِبان (2587-موارد) والسيوطي في «تمهيد الفُرْش» (ص128) وحسَّنه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب»(3187).
[32] كذا في «تمهيد الفرش» (ص131)

وقال الإمام القرطبي : « المُراد والله أعلم مؤمن كامل الإيمان، أو مَنْ استَظَلَّ بظِلِّ العرش، كما في حديث السبعة[33] في ظِلِّ العرش».[34]

ومما صح أيضاً في هذا حديث سلمان رضي الله عنه وهو في حُكمِ المرفوع:

«تدْنُو الشمسُ من الناس يوم القيامة، حتى تكون مِن رؤوسِهِم قَابَ قوسٍ أو قَوْسَيْن، وليس على أحدٍ يومئِذٍ طِحْرِيَّة (أي خِرْقَة)، ولايُرَى فيها عورَةُ مُؤمِن ولامؤمِنة، ولايضُرُّ حرُّها يومئِذٍ مؤمن ولا

---

[33] أي كأن لفظ هذا الحديث عام أو مُجْمل، وحديث السبعة المتقدم مخصُّص ومُبيِّن لهذا العموم والإجمال في هذا الحديث.

[34] كذا في«التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»(ص290).

مؤمنة،وأما الآخرون-أو قال: الكافرون- فتطحنُهم فإنما تقول أجوافُهُم : غِق غِق»[35].

قوله: (غِق غِق) حِكايةُ صوتِ الغَلَيان.

وكذلك حديث أبي موسى الأشعري وهو أصْرَحْ:

«الشمسُ فوقَ رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تُظلِّلُهُم وتَصْحَبُهُم»[36].

قوله : (أعْمَالُهُم تُظلِّلُهُم) يحتمل أَمْرَين :

---

[35] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (447/11) و(340/13) وابن المبارك في «الزهد» (332) وابن أبي عاصم في «السنة» (813) وغيرهم، قال ابن حجر في «الفتح» :«سنده جيد» وصححه الثعالبي في «الجواهر الحسان» (394/4) وصححه العلامة الألباني في «تخريج السنة» (813) على شرط الشيخين.

[36] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»(141/7) وهنَّادْ في «الزهد» (329) بسند صحيح وهو في حُكمِ المرفوع كما لا يخفى.

الأول : أنَّ ثوابَ أعمالهم يظَلِّلُهُم.

الثاني: أنَّ إضَافةَ الظلِّ إلى الأعمال إضافَة سبب، فبسبب ثواب هذه الأعمال يُظلَّلُون في ظلِّ العرش .[37]

***الحديث الخامس : وفيه خصلة واحدة.**

-عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل امْرِئٍ في ظِلِّ صدَقَتِه حتى يُفصَلَ بين الناس ». أوقال : «يُحْكَمَ بين الناس».

[37] أنظر«تذكرة القرطبي» (290) و«تمهيد الفرش»(132)للسيوطي.

قال يزيد -أحد رواة الحديث - : وكان أبو الخير -وهو أحد رُوَاة الحديث أيضا- لايُخْطِئُهُ يومٌ إلا تصدَّقَ فيه بشيء ولو بكَعْكَةٍ أو بَصَلةٍ أوكذا.

وفي رواية لابن خزيمة : أن أَبَا الْخَيْر مَرْثَد بن أبي عبدالله اليَزَنِي كان أَوَّلَ أهلِ مصر يرُوحُ إلى المسجد وما رأَيتُهُ داخِلاً المسجد قطُّ إلا وفي كمِّهِ صدقة، إما فلُوس وإما خُبز وإما قَمْح قال : حتى ربَّما رأيتُ البصلَ يحمِلُه.قال : فأقول : يا أبا الخير : إن هذا ينْتِنُ ثيابَك.قال : فيقول : أما إني لم أجدْ في البيت شيئًا أتصَدَّقُ به غيره، إنه حدثني رجلٌ من أصحابِ رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ظِلُّ المؤمِنِ يوم القيامة صدَقَتُه»[38].

*الخصلة الربعة عشر : الصَّدقة.

قال العلماء : يستحب لمن خرج إلى المسجد أن يُخرِجَ معه بصدقة يتصدق بها كما كان يفعل أبو الخير.

وفي الحديث الحث على الصدقة كل وقتٍ وأنها تسترُ العبد من حَرِّ الشمس والنار يوم القيامة والصدقة من أعظم القربات إلى الله، فها هو أمير المؤمنين المُلْهَم عمر بن الخطاب يصِفُهَا بقوله:

---

[38] رواه أحمد (5 /147-148)و(411/5) وصححه ابن خزيمة(2431) وابن حبان(3299) والحاكم (416/1) ووافقه الذهبي والألباني في «الصحيحة» (3484).

«ذُكِرَ لِي أن الأعمال تَبَاهَى فتقُول الصدقة : أنا أفضَلُكُم».[39]

وقوله :(تَبَاهَى) أصْلُه تَتَبَاهَى، وهو بمعنى تتفَاخَر.

وفوائد الصدقة عظيمة و كثيرة في صحيح السنة جمَعَها العلامة ابن القيم في قوله :

«تقِي مصَارِع السوء،وتدفعُ البلاء،وتُطْفِئُ الخطيئة وتحْفَظُ المال،وتجلب الرِّزقَ،وتُفرِحُ القلب،وتوجِبُ الثقة بالله وحُسْنِ الظَّن به سبحانه وتُرْغِمُ الشيطان (وتُغِيضُه)، وتُزكِّي النفس، وتُحبِّبُ العبد إلى الله وإلى عِبَادِه، وتزيدُ في العمر، وتدفع عن صاحبها

[39] صححه ابن خزيمة والحاكم والألباني في «صحيح الترغيب» (878)

عذاب القبر، وتستجلِبُ أدعية الناس، وتكون عليه ظِلاًّ يوم القيامة، وتشفَعُ له عند الله، وتُهَوِّنُ عليه شدائد الدنيا والآخرة».[40]

وقال أيضا :«للصدقة تاثير عجيب في دفع البلاء ودفعِ العين، ودفع شرِّ الحاسِد».[41]

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم هذه الثمرات والفوائد وأن نكون من المُتصَدِّقين المُخلصين.

ونختِمُ بهذه الوصية الجامعة الغالية من صحابيٍّ حكيم وهو عند الموت، ذكَر فيها ظِلَّ العرش حيث جاءه رجُلٌ يسألُهُ قائلا له:

---

[40] «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص304)
[41] «بدائع الفوائد» (234/2)

يا أبا الدرداء : عِظْنِي بشيءٍ لعَلَّ اللهَ ينفعُني به وأذْكُرُك. فقال :

«إنك في أمَّة مرحومة، أقِمِ الصلاة وآتِ الزكاة المفروضة، وصُمْ رمضان واجتنب الكبائر- أوقال : المعاصي - والشَّر..ويْحَك كيف بِك لو حُفِرَ لَكَ أربعة أَذْرُعٍ من الأرض، ثم غَرقْتَ في ذلك الجُرف ثم جاءك فيه ملكان أسْوَدَان أزْرَقَان، يفْتِنَانِك ويَسْأَلاَنِك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ثبَتَّ[42] فنِعمَ ما أَنتَ فيه، وإن كان غير ذلك فقد هَلَكْتَ، ثم قُمْتَ (يوم القيامة) على الأض ليس لك إلا موضِعَ قدَمَيْك، ليس ثَمَّ ظِلّ إلا الْعَرش فإن

[42] أي ثبَّتَك الله فوُفِّقْتَ للجواب.

ظُلِلْتَ، فنِعمَ ما أنت فيه، وإن أَضْحَيْتَ[43] فقد هَلَكْتَ، ثم عُرِضَتْ جهنَّم والذي نفسي بيده إنها لتَمْلأُ ما بين الخَافِقَين، وإنَّ الجِسْرَ (الصِّرَاطَ) لَعَلَيْهَا، وإن الجنة لَمِنْ وَرَايِهَا، فإنْ نَجَوْتَ منه فنِعمَ ما أَنتَ فيه، وإن وَقَعْتَ فيها فقدْ هَلَكْتَ» ثم حَلَفَ له بالله الذي لا إله إلا هو إن هذا لَحَق.[44]

جعلنا الله وإياكم من أهل الجنةوصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[43] يقال :ضَحَيْتُ وضَحِيتُ للشمس إذا ظهَرْتُ لها وبَرَزْتُ، وهو في هذه الوصية بمعنى: وإن برَزْتَ للشمس وظَهَرْتَ ولم تُظِلُّك أعمالُك هَلكْتَ.أنظر «النهاية» لابن الأثير.

[44] رواه الإمام عبدالله بن المُبارك في كتاب«الزهد والرقائق» برقم (1590).

الفهرس